مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد01 2022/01/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ملامح الفكر الانثروبولوجي من خلال الرحالة المسلمين

Features of anthropological thought through Muslim travelers

جعيرن معمر*

جامعة عمار ثليجي الاغواط

hajmomo@gmail.com

تاريخ الارسال: 2020/10/15 تاريخ القبول: 2020/11/19

ملخص:

عندما تريد قديماً أن تتعرف على بلد من البلدان أنت تقيم بعيداً عنه فإن أول ما تبحث عنه هو كتاب سطره أحد المؤرخين الرحالة الذين زاروا هذا البلد، من خلال هاته الدراسة احاول التطرق إلى بعض الرحالة المسلمين وإسهاماتهم في ميدان الانثروبولوجيا وذلك من خلال عرض بعض هؤلاء الرحالة.

الذين كان لهم دور في إرساء أسس هذا العلم، و إبراز عن الكثير من الحقائق الأنثروبولوجية عن المجتمعات التي زاروها خلال تلك الفترة. وهذا ما يجعلنا ندحض اراء العلماء الغربيين الذين أنكروا هذه الحقيقة التاريخية.

كلمات مفتاحية: الانثروبولوجيا .، الرحالة .، المسلمين .، العصور الوسطى

Abstract:

When you want to know an ancient country, you live far away from it, the first thing that you are looking for is a book written by a traveler historian who visited this country, through this study, I try to address some Muslim travelers and their contributions in the field of anthropology, by presenting some of these travelers . Those who had a role in laying the foundations of this science, and highlighting many anthropological facts about the societies they visited during that period. This makes us refute the opinions of Western scientists who denied this historical fact.

Keywords: Anthropology; Voyager; Muslim travelers; Middle Ages

المؤلف المرسل: جعيرن معمر، **الايميل**: hajmomo@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مقدمة:

لم يكن ماركو بولو ولا ابن بطوطة ولا غيرهم من الرحالة الأوائل يعلمون أن ملاحظاتهم الميدانية عن الشعوب والأجناس البشرية التي زاروها ستكون نواة لعلم جديد بعد خمسة أو ستة قرون ، وعلى الرغم من اعتراف بعض الأنثروبولوجيين الغربيين بدور العلماء المسلمين الرحالة في تأسيس لهذا العلم من خلال معالجتهم للكثير من الظواهر الاجتماعية التي تدخل في اهتمامات الأنثروبولوجيا ، إلا أنه ساد اتجاه ناكر ومتنكر لدى البعض الآخر منهم لهذه الحقيقة التاريخية من خلال السعي لطمسها ، أو التقليل من شأنها، وقد دعم هذا الاتجاه حركة الاستعمار الأوروبي للعالمين الغربي والإسلامي ، مؤكدا عن عجز العرب المسلمين عن الإبداع ، والإسهام في ركب الحضارة الإنسانية

ويعود الهدف من دراسة هذا العلم هو التعرف على التراث الانساني على مر العصور للتعرف على سلوكياته وعلى انماط تفاعلاته اليومية في مختلف المجتمعات .

وهنا يطرح علينا الاشكال التالي : ماهي الانثروبولوجيا ؟ وما علاقة الرحالة المسلمين بها ؟

وللإجابة على هاته التساؤلات ومحاولة مني لتقريب صورة الترابط ما بين الرحالة المسلمين وعلاقتهم واسهاماتهم بالأنثروبولوجيا ركزت في هاته المحاولة هذه على أهم الجوانب التي من شأنها توضيح تلك الصورة وفق مقاربة قائمة على معالجة النقط التالية :

- مفهوم الأنثروبولوجيا .
- الانثروبولوجيا علم اسلامي اسسه الرحالة المسلمون.
- اسهامات المؤرخين المسلمين في مجال الانثروبولوجيا .

وقد اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي في التطرق للتعريف بالرحالة المسلمين وكذلك التحليلي لتحليل الاسهامات التي قدمها هؤلاء الرحالة لمجال الانثروبولوجيا

أولا: مفهوم الأنثروبولوجيا

يشير الدكتور شاكر سليم في قاموسه الانثرولوجيا الذي صدر عام 1981م في اطار تحديده لمصطلح الانثروبولوجيا انها علم دراسة الانسان طبيعيا واجتماعيا وحضاريا ، (سليم، 1981، صفحة 56) وعلى الرغم من بساطة هذا التعريف وايجازه إلا انه يحسم لنا مشكلة تعدد فروع الانثروبولوجيا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فيحددها في ثلاث تخصصات رئيسية فقط ، وهي الانثروبولوجيا الطبيعية ، والانثروبولوجيا الثقافية و الانثروبولوجيا الاجتماعية . وهو في ذلك يشير ضمنا الى خاصية مميزة للانثروبولوجيا وهي النظرة الشمولية في دراسة الانسان . وكذلك هي ذلك الكائن الفريد الذي اسمه الإنسان، كان دائما ولا يزال موضوع التأمل والدراسة من قبل العديد من العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء، فمنذ القديم لاحظ الإنسان بصفة عامة الفروق القائمة بين شعوب الجنس البشري، واهتم بمعرفة الطبيعة الإنسانية وتغير الاختلافات في الملامح الجسمية ولون البشرة، والعادات والتقاليد والديانات والفنون وغيرها من مظاهر الحياة، وفي إطار هذا الاهتمام والتساؤل تطورت الدراسات خلال العهود الحديثة فنشأ عن ذلك فرع جديد من فروع المعرفة اصطلح على تسميته بالأنثروبولوجيا .و يعرفها بيرتي على أنها علم دراسة الانسان و أعماله (بيلتو، 2010، صفحة 17).

والأنثروبولوجيا مصطلح ذو أصل يوناني وهو مركب من قسمين Anthropos ويعني الإنسان و Logosويعني العلم (بن سليمان، 2000، صفحة 127)، فهو إذن علم الإنسان على مختلف المستويات، ابتداء بالمستوى الفيزيولوجي وانتهاء بالجانب الفكري أو الرمزي، لذلك عرفه البعض على أنه التاريخ الطبيعي للجنس البشري (بن سليمان، 2000)، فالأنثروبولوجي بهذا المعنى يعمل على وصف الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الأزمان وفي سائر الأماكن ويحلل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية (تيلوين، 2011، صفحة 24)، كما يعمل على تحليل النظم الاجتماعية وتفسير نتائج دراساته في إطار نظريات التطور (حسن، 1986، الصفحات 13,14) .والأنثروبولوجيا علم ينقسم إلى قسمين :

- الأنثروبولوجيا الجسمانية :وتهتم بدراسة الجانب العضوي أو البيولوجي في الإنسان (الشماس، 2004، صفحة 16).
- الأنثروبولوجيا الثقافية :والتي تعنى بدراسة النواحي الاجتماعية والثقافية لحياة الإنسان، يدخل في ذلك الدراسات التي تتعلق بحياة الإنسان القديم أو حضارات ما قبل التاريخ ودراسة لغات الشعوب القديمة، واللهجات المحلية (حسن، 1986، صفحة 14).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وتجدر الإشارة إلى أن علم الأنثروبولوجيا له ارتباط وثيق بعلمين آخرين ذو أهمية كبيرة وهما الإثنولوجيا والإثنوغرافيا، وبالرغم من تداخل المصطلحين إلا أن مصطلح الإثنوغرافيا (سليم، 1981، صفحة 15) يعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموع التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى مجموعة بشرية معينة خلال فترة زمنية محددة، والاثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثربولوجيا عندما قام الأوربيون بوصف القبائل والشعوب المحلية في أمريكا وإفريقيا واستراليا وآسيا، حيث وصفوا أدواتهم وعاداتهم وتقاليدهم وكل ما يتصل بثقافاتهم المادية المختلفة، وسرعان ما تبني الانثروبولوجيون هذه المعلومات واستخدموها في دراساتهم لتطوير المجتمع البشري .أما الإثنولوجيا فتهتم بالدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الإثنوغرافية، قصد الوصول إلى تصورات نظرية أو تصميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية من حيث أصولها وتطورها وتنوعها. وبالتالي فإن هذه العلوم هي متداخلة من حيت موضوعاتها ومناهجها، فالإثنولوجيا و الإثنوغرافيا هو ما يصطلح عليه عند المدرسة الفرنسية بالأنثربولوجيا الثقافية، التي تدرس السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة ونسق القرابة والتنظيم السياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية (حسن، 1986، صفحة 16).

لقد كانت الأنثروبولوجيا موضوعًا يرضي ويسر حب الاستطلاع عند المثقفين، ولقد ظل لفترة طويلة موضوعًا محببًا عند محبِّي غرائب الأمور. فإن الكتابات التي تصف العادات الغريبة والقوانين الجنسية المختلفة والسلوكيات الدينية والسحرية البدائية وأشكال الفنون المختلفة، تجد في نفس الصغير والكبير هوى مؤكد. ولا شك في أن اتصال العالم المعروف بالعوالم الجديدة في أمريكا وأفريقيا وآسيا بعد عصر الكشوف، قد ساعد على نمو غزير في معلوماتنا عن الكم الحضاري والثقافي والعقيدي والفني تضمنتها كتابات المستكشفين في تلك الفترة، وبذلك فإن كثيرًا من الكتابات القديمة تحتوي على مصادر جيدة للأنثروبولوجيا.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

1 تطور مفهوم الأنثروبولوجيا:

الأنثروبولوجيا العامة علم من العلوم القليلة التي تجمع بين العلوم الطبيعية والإنسانية، فالإنسان جزء مما نسميه جميعًا الطبيعة؛ أي القوى التي تخلق مظاهر العالم المادية. ومن ثم فإن الإنسان مظهر طبيعي؛ لأنه جزء من العالم العضوي المادي، ولأنه نوع بيولوجي من أنواع المملكة الحيوانية، وتاريخ نموه وتطوره كنوع من أنواع الحياة أصبح جزءًا هامًّا من علوم التاريخ الطبيعي؛ لذلك نرى المتاحف الدولية للتاريخ الطبيعي تحتوي على قسم خاص بالأنثروبولوجيا، تعرض فيه لتاريخ وتطور الإنسان ككائن بيولوجي .

ولكن الأنثروبولوجيا في الواقع أكثر من مجرد كونها دراسة بيولوجية للإنسان، فهي تتناول دراسة الإنسان وكل أعماله. فالأنثروبولوجيا بمعناها الكامل علم يدرس السلالات والعادات والإنتاج الإنساني أيًّا كان؛ ولهذا فإن الدراسة الخاصة بالإنتاج المادي والفكري والديني والفني والعادات والنظم الاجتماعية، تجعل من الأنثروبولوجيا علمًا من العلوم (Hoebel, Man in the Primitive World, 1958)

والأنثروبولوجيا علم قديم وحديث في آن واحد، فهو قديم لأن الموضوعات التي يهتم بها تناولها كثير من الكتَّاب القدماء بالبحث والدراسة، وكان غالبيتهم من الفلاسفة؛ ولهذا نجد كثيرًا من موضوعات علم الأنثروبولوجيا، ومن أهمها الديانة وفكرة الإله والتمايز والاختلاف الحضاري، وتقسيم المجتمع إلى طبقات وسلالات قد اقترنت بأبحاث الفلاسفة وبالصبغة الفلسفية. وبطبيعة الحال، أُدْرِجَتْ هذه المباحث في الماضي تحت راية الفلسفة كما كان متبعًا في كل العلوم عند بداية نشأتها .

(Herskovits, 1964, p. 8)

ويجب علينا أن نلاحظ أن آثار هذه الصبغة الفلسفية لموضوعات الأنثروبولوجيا لن تندثر تمامًا. فلا زالت هناك بعض بقاياها، خاصة عند بداية انسلاخ هذا النوع من الدراسة وظهوره في صورة علم مستقل في العصر الحديث .

وعلى سبيل المثال، نذكر أن المدرسة النمساوية الألمانية في الإثنولوجيا Völkerkunde, ethnologie ارتبطت بنظرية أفلاطون ، (رياض، 1972، صفحة 76) وأن دافيد هيوم David Hume كان له دور هام في المراحل الأولى لنشأة المدرسة الأنثروبولوجية الإنجليزية، وفيما يقول

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الفلاسفة أن دافيد هيوم في نظرياته ككل متأثر بنظرية الفيلسوف الإغريقي القديم ديمقراط . (حسن، 1986، صفحة 60) Democritu

كذلك نجد ديكارت Descartes قد تأثر بالنظريات الأفلاطونية، ومعروف أن «ديكارت» قد أثر بصورة ملحوظة على المدرسة الإثنولوجية الفرنسية في بداية نشأتها .

والأنثروبولوجيا من الناحية الأخرى علم حديث، لأنه لم يَمْضِ على هذا العلم بصورته الحالية أكثر من قرن واحد، وهو إلى الآن لم يصل بعد إلى حد التكامل في بعض النقاط وبعض الشعب والأقسام، وأساس ذلك راجع إلى عدم استقرار المنهج كما هو الحال في معظم العلوم الاجتماعية الحديثة التي تأثرت وتتأثر بشدة بالأبحاث الحقلية العديدة التي تجري في معظم جهات العالم إلى جانب تأثرها بالتطور العلمي الحديث . (رياض، 1972، صفحة 98)

و يبيّن المؤلّف مصطفى تيلوين أنَّ هناك أربع نظريات يراها الأهم في الأنثروبولوجيا وهي:

النظرية التطورية: ويتزعَّمها ثلاثة أقطاب: هنري لويس، فريزر جيمس، إضافة إلى العالم والانثروبولوجي تايلور ادوارد برنت 1917/1832 ، تايلور ادوارد برنت كقطب من أقطاب هذه النظرية

وهي نظرية ارتبطت بعلم البيولوجيا عند شارل داروين ولامارك في القرن التاسع عشر، ولقد أثَّرت هذه النظرية في الكثير من العلوم الإنسانية كالفلسفة والاثنولوجيا.

النظرية الوظيفية والبنائية الوظيف : وهي تصور الظواهر الإنسانية تصويراً نسقياً وظيفياً ومن أهم أقطابها مالينوفيسكي برانسلو 1884-1942، وراد كليف براون 1881-1955، وباريتو وبورديو.

النظرية الانتشارية: وهي نظرية ولدت من خلال انتقادها للنظرية التطورية،

ومن أقطابها فرانس بواس 1885- 1942، إليوت سميث 1868 1954، عبد الرحمن ابن خلدون 1406-1332.

النظرية البنيوية: ويعتبر كلود ليفي شتراوس مؤسِّسها, ذلك بعد أن تأثَّر بعالم اللسانيات الروسي "جاكوبسون". إلا إنَّه زاد عليه, فطوَّر البنيوية في الانثروبولوجيا، وطبَّق المنهج التحليلي البنيوي من خلال دراسة الأساطير في المراحل 1964- 1971- 1985- 1991، ومن خلال دراسته للعلاقات

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

العائلية عام 1949، ودراسته التجمعات البشرية "علم الاثنيات" 1958- 1962. (تيلوين، 2011، صفحة 76)

2 علاقته بعلم التاريخ والجغرافيا

أكد عدد من الإثنولوجيين أن الإثنولوجيا هي علم تاريخ الشعوب غير الألف بائية، وعلى الرغم من أن الإثنولوجيا مرت بمرحلة مناهضة للتاريخ والاتجاه التاريخي، إلا أن اهتمام الإثنولوجيين بعدد من المشكلات التاريخية كان دائمًا ظاهرًا وقويًّا. وقد كانت المدرسة الإثنولوجية التطورية في العالم ومدرسة التاريخ الحضاري النمساوية، هما أهم المدارس التي ظهر فيها الاتجاه التاريخي. ولكن هاتين المدرستين نُقِدَتا بما فيه الكفاية، بحيث أصبح الإثنولوجيون في هذه المدارس أكثر اعتدالًا وخاصةً مدرسة التاريخ الحضاري، وقد أصبح في الإمكان اليوم لمؤيدي هذا المنهج، بعد الدراسات العديدة في مختلف ميادين العلم، أن يحاولوا التأريخ للشعوب غير الألف بائية باستخدام: (خضر، 2017، صفحة 45)

- استخدام المادة الإثنوجرافية في الكتابات القديمة، من أمثلة ذلك الكتابات الهيروغليفية لوصف حالة الشعب المصري، أو الشعوب السوداء في جنوب مصر أو شعوب الشرق الأدنى.
- استخدام نتائج أبحاث وحفائر ما قبل التاريخ والإركيولوجيا.
- المقارنات الحضارية وخاصة حيث نجد سجلات تاريخية عن الهجرات والاحتكاك الحضاري بين الشعوب المختلفة. وهكذا يرتبط الدارسون لهذه الموضوعات ارتباطًا وثيقًا بمصادر التاريخ الذي يرتبط به المؤرخون أيضًا. (اندري، 1994، صفحة 101)

فأصبح التاريخ يتناول مواضيع جديدة وفق مناهج مختلفة، إذ أضحى المؤرخ يكتب عن تاريخ التغذية، وتاريخ الجسم، والتاريخ الطبيعي للأمراض، وتاريخ السلوكات الجنسية، وعن سلوك وتنظيم المجتمع (اندري، 1994، صفحة 105)، إلى غير ذلك من المواضيع التي تجاهلتها الكتابات التقليدية. ولعل هذا ما جعل من الأنثربولوجيا ذي علاقة وطيدة مع التاريخ، حيث يتقاطعان في العديد من المواضيع، وقد نتج عن هذا التقاطع تحول فضول المؤرخ لدراسة الإنسان ''المهمل'' عوض الإنسان ''العظيم''، ودراسة الأشكال الأولية للحياة الثقافية عوض الأدبيات الكبرى (فرانسوا، 1997، صفحة 90). فأضحى التاريخ قائما على رؤية متعددة المقاربات، فبدل النظر إلى الوقائع التاريخية المدروسة من وجهة نظر أحادية الجانب

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وتفسيرها وتعليلها، أضحى لازما على المؤرخ استحضار كل العناصر والعوامل الأخرى التي قد يكون لها دور في بناء الأحداث والوقائع التاريخية. فاعتمد المؤرخ على المقاربة الأنثروبولوجية أو السوسيولوجية، وأصبح يميل إلى دراسة الظواهر الاجتماعية للإنسان من مثلا تاريخ الزواج، الموت، علاقات القرابة داخل القبيلة، نظم العشائر، الأسر...إلى غير ذلك، ويعود الفضل في استعمال المنهج الأنثروبولوجي/السوسيولوجي داخل الدراسات التاريخية المعاصرة إلى المؤرخ فرناند بروديل، فقد اعتبر أن الأحداث التاريخية جزء من حقيقة أكبر وأكثر تعقيدا وهي المجتمع (عبد لبعزيز، 2006، صفحة 115)، مما سمح بالكشف عن خبايا المجتمع في الماضي وفك تركيبها ومكوناتها وتحديد العلاقات والروابط بين عناصرها.

وبخصوص علاقته بالجغرافيا لا شك أن علاقة فهي علاقة وثيقة، بل إن كثيرًا من الجغرافيين القدماء قد كتبوا في موضوعات هي الآن تخصص الإثنولوجيا. ولا أدل على ذلك من أبحاث عدد الجغرافيين العظام، مثل: فريدريك راتزل Frederich Ratzel، إدوارد هان Eduard Hahn.

وقد أدى ذلك، وخاصة كتابات الأستاذ Ratzel، إلى خلق تخصص في الجغرافيا باسم الجغرافيا البشرية والأنثروبوجغرافيا Anthropogeographie — وتهدف هذه الدراسة إلى إظهار وتمييز الإقليم الحضاري، أي إن هناك ارتباطًا شديدًا في دراسة الحضارة بين الإثنولوجيا والجغرافيا. (رياض، 1972، صفحة 89)

ولكن المناهج تختلف تمامًا، كما أن الهدف يختلف. فحيث يدرس الإثنولوجي مكونات الحضارة وتطورها وتغيرها ونظمها وهجرات عناصرها، فإن الجغرافي الاجتماعي يحاول أن يجد توزيعًا جغرافيًّا إقليميًّا للحضارة من ناحية، ويحاول من ناحية أخرى تفسير أنماط الحضارة في أقاليم جغرافية معينة. والحضارة عند الجغرافي هي كم النشاط والتفاعل الإنساني العملي والتكنولوجي مع المحيط الطبيعي والعلاقات المكانية والزمانية الجغرافية. ويقترب العلمان كثيرًا حينما يدرسان النظم الاقتصادية والأنماط السكنية وأدوات الإنتاج عند الشعوب غير الأوروبية الأصل. (Hoebel, Man in the Primitive World, 1958, p. 56)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

هكذا نرى أن الجغرافي قد اهتم كثيرًا بالتفاعلات التي تنجم بين البيئة والحضارة أكثر من الأنثروبولوجي، الذي كان يأخذ البيئة الطبيعية على علاتها دون تمحيص أكثر. وعلى ذلك أصبح هناك اتجاه بين بعض الإثنولوجيين — مثل اتجاه الأستاذ هرسكوفيتز — يؤكد أن أثر البيئة لا يجب أن يُغفَل أو أن يُقلَّل من أهميتها، وذلك لأن الإنسان ليس فقط عضوًا في سلسلة بيولوجية، بل إنه يعيش في محيط له كيانه المستقل عن الإنسان. ومن هذا المحيط يستخرج الإنسان خاماته لصنع الأدوات والآلات التي يستخدمها لكي يعيش. (هرسكوفيتز، 1974، صفحة 123)

ثانيا: الرحالة المسلمين واسهاماتهم في الانثروبولوجيا:

1 نماذج لأبرز الرحالة المسلمين :

ان الباحث في تراجم علماء المسلمين العرب يقف على العديد من الاسماء العربية والمسلمة التي بلغ اصحابها القمة في شق الاقطار والتجوال في الفيافي والقفار وطلب العلم ونشره ومجالسة اعلامه من ناحية دراسة الاقاليم وعادات الامم وثقافاتها من ناحية اخرى ، ولعل من أهم هؤلاء الرحالة العرب الذين أسهموا بدور رائد في تكوين المادة الانثروبولوجية الرحالة العربي ابن خلدون (عبد الرحمن ولي الدين بن خلدون) (عبد الرحمان، 1966، صفحة 291)وما تضمنه كتابه المقدمة اكبر دليل على ذلك .

وقد أرسى ابن خلدون الأسس المنهجية لدراسة المجتمعات البشرية، ودورة الحضارات التي تمرّ بها، فكان بذلك، أسبق من علماء الاجتماع في أوروبا. ولذلك، يرى بعض الكتّاب والمؤرّخين، أن ابن خلدون يعتبر المؤسّس الحقيقي لعلم الاجتماع، بينما يرى بعضهم الآخر، ولا سيّما علماء الأنثروبولوجيا البريطانيون، في مقدّمة ابن خلدون بعضاً من موضوعات الأنثروبولوجيا الاجتماعية ومناهجها .وفي أمريكا، أشار /جون هونجيمان / أيضاً في كتابه " تاريخ الفكر الأنثروبولوجي " إلى أنّ ابن خلدون تناول بعض الأفكار ذات الصلة بنظرية / مارفين هاريس / عن " المادية الثقافية " Cultural Materialism– ونجد أنّ / هاريس / ذاته، يذكر أنّ ابن خلدون ومن قبله الإدريسي، قدّما أفكاراً ومواد ساعدت في بلورة نظرية الحتمية الجغرافية، التي سادت إبّان القرن الثامن عشر . (Anderson, 1984, p. 112)

وكذلك برز العرب في وضع المعاجم الجغرافية، كمعجم (البلدان) لياقوت الحموي. وكذلك إعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) مثل " مسالك

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الأمصار " لإبن فضل الله العمري (المقدسي، 1991، صفحة 3)، و " نهاية الأرب في فنون العرب " للنويري .

وإلى جانب اهتمّام هذه الكتب الموسوعية بشؤون العمران ، فقد تميّزت مادتها بالاعتماد على المشاهدة والخبرة الشخصيّة، وهذا ما جعلها مادة خصبة من ناحية المنهج الأنثروبولوجي في دراسة الشعوب والثقافات الإنسانية. (Richard, 1995, p. 185)

وهناك من تخصص في وصف اقليم مثل الرحالة أبوالريحان محمد بن احمد البيروني وهو أحد الرحالة الذين قدموا بشكل واضح للمادة الانثروبولوجية ، ولعل (كتابه تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة للعقل او مرذولة) يشير بوضوح الى مفاهيم الانثروبولوجيا والاثنوغرافيا والاثنولوجيا ، حيث يحلل البناء الاجتماعي للهند وانظمة هذا البناء المختلفة (الدينية و القضائية والأسرية و الطبقية وغيرها) . والانماط الثقافية المختلفة ، وهو لا يقف عند الوصف بل يقارن و يحلل ويستنتج ويعمم . (Ahmed, 1984, p. 10)

وبشكل عام فقد جمع البيروني عن الهند في تحقيقه كل ما يهم الانثروبولوجي ان يقف عنده من شتى النظم الاجتماعية والسمات الثقافية في البحث الانثروبولوجي الميداني .

ومن الرحالة العرب ايضا ابن جبير (ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني الاندلسي الشاطبي) الذي جاء كتابه سجلا شاملا لكل ما شاهد وعاين من عادات وقيم وثقافات البلدان التي زارها وطاف بها وهو يسجل ما حدث في رحلته يوما بعد يوم ، ولا يترك شاردة ولا واردة مما رأى وعاين إلا كتب عندها وسجلها ونقدها وحللها . (مصطفى، 2007، صفحة 116)

كما كانت لرحلات ابن بطوطة وكتاباته خصائص ذات طابع أنثروبولوجي، برزت في اهتمامه بالناس ووصف حياتهم اليومية، وطابع شخصياتهم وأنماط سلوكاتهم وقيمهم وتقاليدهم. فمّما كتبه في استحسان أفعال أهل السودان : " فمن أفعالهم قلّة الظلم، فهم أبعد الناس عنه وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه. ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاضب. ومنها عدم تعرّضهم لمال من يموت في بلادهم من البيضان)البيض والأجانب) ولو كان القناطير المقنطرة. وإنّما يتركونه بيد ثقة ، حتى يأخذه مستحقّه. (ابن بطوطة، 1968، صفحة 672)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ومن خلال كل ما تقدّم يمكن القول : إنّ العلماء والرحالة العرب و المسلمين أسهموا بفاعلية خلال العصور الوسطى في معالجة كثير من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن تدخل في الاهتمامات الأنثروبولوجية، ولا سيّما التنوّع الثقافي (الحضاري (بين الشعوب، سواء بدراسة خصائص ثقافة أو حضارة بذاتها، أو بمقارنتها مع ثقافة أخرى. ولكن على الرغم من اعتبارها مصادر للمادة الأثنوجرافية التي درست (أسلوب الحياة في مجتمع معيّن وخلال فترة زمنية محدّدة) ولا سيّما العادات والقيم وأنماط الحياة، فإنّ الأنثروبولوجيا التي تبلورت في أواخر القرن التاسع عشر كعلم جديد معترف به، لم تكن ذات صلة تذكر بهذه الدراسات، ولا بغيرها من الدراسات (اليونانية والرومانية) القديمة.

2 الانثروبولوجيا علم اسلامي الأصل:

وتقول الدراسة إن علم الإنسان أو علم الأنثروبولوجيا الذي يدعي الغرب أنه علم غربي لم يعرف إلا منذ قرنين من الزمان، إنما هو علم عربي إسلامي أصيل، لأن الرواد من العلماء المسلمين الرحالة الذين جابوا الأقطار المختلفة كانوا أنثروبولوجيين بمعنى الكلمة قبل أن يظهر هذا المصطلح في أوروبا. وقد قام هؤلاء العلماء الرحالة برحلاتهم اهتداء بقول الله تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (القرآن الكريم). وقول الله تعالى ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة﴾ (القرآن الكريم) فهؤلاء العلماء طافوا العالم ودرسوه جيدا وسجلوا كل شيء عن شعوبه المختلفة حسب مفردات منهج الأنثروبولوجيا الحديث. (حسن، 1986، صفحة 195)

وعلم الإنسان الذي يقوم على مقارنة الشعوب والمجتمعات بعضها ببعض، يهدف إلى الوصول إلى أن الجنس البشري واحد وأنه مؤتلف لا مختلف، وأنه يجب أن يتواصل لا أن يتباعد. وعن علاقة علم الإنسان بالقرآن يقول د. زكي إسماعيل إنها علاقة وثيقة لأن القرآن أنزله الله لهداية البشر جميعا فمحور القرآن هو الإنسان، وعلم الإنسان علم وضعي وضعه الإنسان لدراسة الإنسان ليصل إلى نفس الهدف وهو فهم، الإنسان ومن خلال هذا الفهم يمكن أن يحدث التقارب لا التباعد والوئام لا الخصام. فسبب الحروب التي تحدث بين الشعوب كانت النتيجة أن الإنسان لا يفهم الإنسان. وحتى في البلد الواحد كيوغوسلافيا وروسيا تقوم الحروب بين أهل البلد الواحد لأن الصرب والروس لا يفهمون المسلمين .ونفس الأمر يحدث

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

في كل أنحاء العالم ولهذا قامت الحرب العالمية الأولى والثانية. فهتلر قال إن ألمانيا فوق الجميع ولم يفهم أن أوروبا لها كبرياؤها وكرامتها (ساري، 2016، صفحة 46).

وهكذا فإن علم الإنسان يهدف إلى الوصول إلى وحدة الجنس البشري وفهم الإنسان للإنسان بلا فوارق وبالتالي فهو يلتقي مع الإسلام الذي يقول كلكم لآدم وآدم من تراب . ويقول أيضا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم [لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى]. وهكذا فإن المفاضلة في الإسلام بين إنسان وإنسان تختلف تماما عنها في البراجماتية الأمريكية أو الرأسمالية الغربية أو الشيوعية الشرقية. (حسن، 1986، صفحة 200)

وعلم الإنسان يدرس الإنسان من حيث جسمه وطبيعته البيولوجية، ومن خلال هذه الدراسة وصل هذا العلم إلى أمور هامة، لكن سبق القرآن هذا العلم فذكر هذه الأمور في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (القرآن الكريم). وهذا التفضيل قال عنه المفسرون التقليديون عند تمييز الإنسان عن الحيوان بأنه يعيش منتصبا على رجليه ويأكل بيديه وينظر للأمام، ولكن دراسات علم الإنسان الفيزيقي تجاوزت آراء المفسرين التقليديين وقالت إن الإنسان لم يكرمه الله فقط بالعقل والفكر وإبداع الثقافة وإنما بتكوين جسمي عضوي فريد يتجلى في التركيب المخي المتميز بتعقيد معين لا يوجد في غيره من المخلوقات. كما يتميز بالتركيب الخاص للقدم والحوض والسيقان والسلسلة الفقرية واليدين والإبصار.

والباحث المتعمق في هذه الأمور يصل إلى أن الله لم يخلق الإنسان عبثا وإنما لغاية وحكمة معينة.

وكذلك من الامور التي تأكد كل هذا الكلام وهي وعلاقتها بالدعوة الإسلامية حيث ان المنهج الأنثروبولوجي هو المنهج الذي أصبح الآن منهجا مختارا لدراسة المجتمع على أساس معايشة هذا المجتمع ودراسة لغته وعاداته على الطبيعة والاختلاط به والتفاعل معه. والدعوة الإسلامية لن تؤدي دورها ولن تؤتي أكلها إلا من خلال هذا المنهج الأنثروبولوجي، فالداعية لابد أن يتعلم لغة القوم الذين سيدعوهم، ولذلك بدأ الأزهر ينتبه ويدرس اللغات الإسلامية بجانب اللغات الأوروبية. (حسن، 1986، صفحة 205)

فالداعية قد يعمل في مجتمع وثني مثل مجتمع جنوب السودان، وأوروبا كانت ترسل ولا زالت طيلة القرن

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

العشرين علماء أنثروبولوجيين يعملون مبشرين.. وقد رأيت هؤلاء في قبائل الشلك يترجمون الأناجيل لهذه القبائل رغم أن لغتهم تنطق ولا تكتب.. ومع ذلك استطاع هؤلاء العلماء المبشرون أن يكتبوها لهم وأن ينصروهم.. وكان هؤلاء العلماء المبشرون حريصين على إقامة ثلاثة أشياء، أولا الكنيسة ليقيموا فيها الصلوات، وثانيا المدرسة ليتعلم أهل القبائل الإنجليزية ثم يستفاد من خريجيها في الأمور الإدارية، وثالثا المستشفى.

وفي أوائل السبعينات نزل التجار المسلمون على مكان عاصمة الشلك وأخذوا ينشئون الكتاتيب ويعلمون الأطفال العربية ومبادئ الإسلام وبدأت إدارات الري المصرية العاملة في السودان تستجلب عددا من العمال وتعلمهم العربية ومبادئ الدين الإسلامي ثم يدخلون في الإسلام.

وهكذا فإن الدعوة الإسلامية في حاجة ماسة إلى المنهج الأنثروبولوجي الذي يفرض على الباحث أن يعيش وسط القوم الذين يدرسهم سنة على الأقل. وكان ابن بطوطة أنثروبولوجيا من الطراز الأول فقد استغرقت رحلته 25 سنة حلل فيها المجتمعات تحليلا واستمرت رحلة علماء مسلمون ورحالة غيره عشرة وخمسة عشر عاما. (ابن بطوطة، 1968، صفحة 565)

خاتمة:

وختاما لهاته الدراسة نقول بانه إذا كانت الأنثروبولوجيا العلم الذي يدرس الإنسان ، ويدرس أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينه وبين الكائنات الحية الأخرى من جهة ، وأوجه الشبه والإختلاف بين الانسان وأخيه الانسان من جهة أخرى ، فإنه يمكن القول أن العلماء المسلمين و الرحالة قد أدركوا ذلك منذ وقت مبكر قبل أن يدركه الغربيون ، فالرحالة المسلمين كانوا أنثروبولوجيين ، لما لهذه الكلمة من معنى ، وذلك قبل أن يظهر هذا المصطلح في أوروبا ، وبالتالي لا يمكن إنكار أن الأنثروبولوجيا علم عربي اسلامي أصيل .

ومن اسهامات المسلمين في الانثروبولوجيا هو وضعهم للمعاجم الجغرافية كمعجم البلدان لياقوت الحموي، وكذلك اعداد الموسوعات الكبيرة التي بلغت ذروتها في القرن الثامن هجري مثل مسالك الامصار ابن فضل الله العمري ، ونهاية الارب في فنون العرب للنويري ، والى جانب كذلك اهتمام هذه الكتب الموسوعية بشؤون العمران ، فقد تميزت مادتها بالاعتماد على المشاهدة والخبرة الشخصية ، وهذا ما جعلها

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مادة خصبة من ناحية المنهج الانثروبولوجي في دراسة الشعوب ، ومن هنا تظهر اهمية كتب الرحلة في فهم طبيعة المجتمعات التي وصلوا اليها .

- القرآن الكريم

سورة العنكبوت الاية 20

سورة النساء الاية 100

سورة الاسراء الاية 70

قائمة المصادر والمراجع:

- Ahmed, A). *Al-Beruni , The First Anthropologist*, Journal Article, RAIN , 1984
- Anderson, J. , *Conjuring with Ibn Khaldon,from an Anthropological point of view, Leiden,* (1984).
- Herskovits, M, *Cultural Anthropology* , New York, (1964).
- Hoebel, E , *Man in the Primitive World,* New York, (1958),
- Hoebel, E), *Man in the Primitive World*, New York , (1958
- Richard, T, *"Islamic Anthropology" and the "Anthropology of Islam"*, Anthropological Analysis and Islamic, (1995).
- محمد رياض، الانسان، مؤسسة هنداوي. ،1972.
- محمد بن ابراهيم ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار احياء العلوم، بيروت، 1968 .
- فوري فرانسوا، التاريخ والإثنوغرافيا، مجلة امل، 1997.
- عمر حمادة مصطفى،. مدخل لدراسة المجتمع والثقافة، دار المعرفة الجامعية، مصر ، 2007.
- علوي الأمراني عبد لبعزيز ، من تاريخ السرد إلى تاريخ النقد نحو تطور المعرفة التاريخية في الوطن العربي، مجلة فكر ونقد، 2006 .
- شاكر سليم، قاموس الانثروبولوجيا ، جامعة الكوي، الكويت ، 1981 .
- دعاء خضر ، بين الثقافة والهوية، 2017.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

- حنفي ساري، أسلمة وتأصيل العلوم الاجتماعية. دراسة في بعض الاشكاليات ، مجلة المستقبل العربي ، 2016.
- حسن ف، قصة الانثروبولوجيا ، فصول في تاريخ علم الانسان ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1986 .
- بوغرير اندري، الأنثربولوجيا التاريخية. ، ترجمة ، حبيدة محمد ، مجلة امل، 1994 .
- بيلتو بيرني ، تر ، كاظم سعد الدين ، دراسة الانثروبولوجيا (المفهوم والتاريخ)،بيت الحكمة ،بغداد ، 2010
- بن سليمان, ف ، مدخل إلى دراسة التاريخ ، مركز النشر الجامعي، 2000.
- المقدسي ا ، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مكتبة مدبولي ، القاهرة، 1991 .
- الشماس عيسى ، مدخل الى علم الانسان ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2004
- ابن خلدون عبد الرحمان ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الفكر ، بيروت، 1966.
- هرسكوفيتز, م، أسس الأنثروبولوجيا الثقافية ، ترجمة ، ر. النفاخ ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1974.